

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس الرابع والعشرين من دروس الشمائل المحمدية، التي كان عليه الصلاة السلام يتحلى بها، وقد وصلنا في الدرس السابق إلى وقاره العظيم.

أيها الإخوة ؟ الوفار شيء يحسه الإنسان، ولكن لا يرى له آثاراً مادية، فرجل تهابه، ورجل لا تهابه، رجل تشعر، وأنت في حضرته بسعادة غامرة، ورجل لا تلقي له بالاً، هذا الوفار، أو هذه الهيبة، أو هذه المكانة العلية التي يهبها الله للإنسان، ما سرها؟ النبي عليه الصلاة والسلام كان من أشد الناس وقاراً، وكان من أعظمهم أديباً، وكان أرفعهم فخامةً وكرماً، لكن قبل أن نمضي في الحديث عن وقاره صلى الله عليه وسلم، لنسمع إلى هذا الحديث الشريف:

((من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء))

(من أحاديث الإحياء: عن "أبي هريرة")

إما أن يهابك الناس ؛ وإما أن تهاب الناس، فبقدر طاعتك الله يلبسك الله سبحانه وتعالى ثوب مهابة.

روى أبو داود في مرسومه، عن خارجة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال:
((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك الناس في مجلسه، لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه))
أحياناً تجلس في مجلس تشعر بسعادة، هذا الذي تجلس معه تأس به، إذا رأيته تذكر الله عزّ وجل، وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذه الحقيقة، قال:

((أولياء أمتي إذا رأوا ذكر الله بهم))

إذا رأيت ولينا الله عزّ وجل يذكرك بالله، يذكرك بطاعته، يذكرك بالأخرة.

فإذذلك أيها الإخوة مرّة ثانية أقول هذا الكلام: إذا شكوت تغلّت نفسك من منهج الله، فلعل ترکن إلى أنسٍ بعيدين عن الله عزّ وجل، إذا صاحبت من ينهض بك إلى الله حاله، ويدلك على الله مقاله، إذا صاحبت المؤمنين المتفوّفين، إذا غيرت هؤلاء الذين كنت تعرفهم قبل أن تعرف الله عزّ وجل، إذا غيرت كل هؤلاء، وأقمت علاقاتٍ مع إخوة كرام يفوقونك في معرفتهم بالله، وفي طاعتهم له، هم يأخذون بيدهك إلى الله، لا تتسرّ أن البذرة مهما تكون جيدة، إذا كانت التربة ملوثة فإنها لا تتربّ، وإذا نبتت أصيّبت بالأمراض، هذه حقيقة يعرفها المستغلون بالزراعة، إذا لابد من

تربيٰ معقّمة، لابد من تربٰ غنيةٰ بالمواد النافعة، لابد من تربٰ مفعمةٰ بالماء كي ينبعُ النبت، وأنت لك تربٰ.

فذلك كان عليه الصلاة والسلام أقر الناس في مجلسه، وقد يُروى عنه أنه:

((من رآه بديهٰ هابه، ومن عامله أحبه))

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة قال:

((دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ملأنا البيت وهو مضطجع لجنبه فلما رأنا بقاض رجليه ثم قال إن سبأتمكم أقوام من بعدي يطلبون العلم فرحبوا بهم وحيوهم وعلمهم قال فادركتنا والله أقواماً ما رحبو بنا ولما حيونا ولما علمونا إلى بعد أن كنا نذهب إليهم فيجفونا))

نحن نتعلم أدب الصحابة الكرام مع رسولهم، لكن ربنا عز وجل قال في القرآن - ودقق النظر في قول الله عز وجل أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يخوض جناه للمؤمنين - قال:

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥)

(سورة الشعراء)

بل أمره أن يخوض جناه لكل المؤمنين..

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨)

(سورة الحجر)

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه))

وفي حديث آخر:

((تواضعوا لمن تعلّمون))

(من الجامع الصغير: عن "أبي هريرة")

تواضعوا لمن تعلّمونه، فهو يتواضع لأصحابه، ويخدمهم بنفسه، ويسمو أنفسهم معه، والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نوقرّه، وأن نعزّزه، وأن نبجله، وأن نحبه، فكما أمرنا أن نحب رسوله وأن نوقره..

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾

(سورة الأحزاب: من آية "٤٠")

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضِبُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُوَّبُهُمْ لِلتَّقْوَى﴾

(سورة الحجرات: من آية "٣")

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾

(سورة الحجرات: من آية "٢")

لا تقولوا: يا محمد، قولوا: يا رسول الله، هل تصدقون أيها الإخوة أن الله جل جلاله في عليائه ما خاطب النبي في القرآن الكريم كله بلفظ محمد؟! جاءت كلمة محمد خبراً أو مبدأ.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾

(سورة الفتح: من آية " ٢٩)

أما عند الخطاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾

(سورة الأحزاب: من آية " ٢٨)

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾

(سورة المائدة: من آية " ٦٧)

إذا كان الله في عليائه يخاطب النبي بمقامه - مقام النبوة، ومقام الرسالة - ولم يخاطبه باسمه
كيف بنا نحن؟ لذلك الله عز وجل قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ
لَبْعْضٍ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ﴾

(سورة الحجرات: من آية " ٢)

((إِنَّهُ سَيَأْتِيَكُمْ أَقْوَامٌ مِنْ بَعْدِي يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَرَحِبُوا بِهِمْ وَحَيْوُهُمْ وَعَلِمُوْهُمْ))

وبعد؛ فالآلية الكريمة التالية تعرفونها جميعاً:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

(سورة آل عمران: من آية " ١٥٩)

هذه الآية قانون، هذا القانون جاء من حرف الباء، الباء باء السبيبة، والقانون في العلم هو وصف
علاقة بين متغيرين - علاقة رياضية - الله عز وجل يقول:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ﴾

أي بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد من خلال اتصالك بالله، هذه الرحمة بسببها لنت لهم،
فأحبوك، والتقووا حولك، وفدوكم بأرواحهم.

لكن لو كنت منقطعاً عن الله، فلن تستقر هذه الرحمة في قلبك، ولكن إذا فظاً غليظاً، وإذا كنت
فظاً غليظاً انقض الناس من حولك.

هذا قانون، هذا القانون يسري على كل مؤمن، إن تتصل تستقر الرحمة في قلبك، وتتن، ويلتف
الناس حولك، وإن تقطع يقس قلبك، وتكن فظاً غليظاً، وينقض الناس من حولك، هذا الكلام موجه
للأب، للمعلم، للداعية، لرئيس الدائرة، لمدير المدرسة، لمدير المستشفى، لك صلة بالله في قلبك
رحمة، هذه الرحمة ولدت اللين، واللين ولد المحبة، فاللتف الناس حولك.

ومن ثم ها نحن ندخل في المهابة، الإنسان الرحيم له هيبة، القاسي ليس له هيبة، أنت لاحظ
أحياناً الإنسان من خلال معاملته، وازانه، وإنصافه، وإكرامه يصير محبوباً، والناس تنهج أسلوبهم
بالثناء عليه في غيبته كما هو في حضرته؛ لكن الإنسان القوي يخافه الناس في حضرته،
ويكيلون له كل أنواع الشتائم والسخرية في غيبته، فالعبرة ليست بما يقال في حضرتك، بل العبرة

فيما يقال في غيبتك، لكن هذا الكلام كلام النبي عليه الصلاة والسلام مؤثّر، ويجب أن يتخذه كل مؤمن منهجاً له..

((إِنَّهُ سَيَأْتِيْكُمْ أَقْوَامٌ مِّنْ بَعْدِيْ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَرَحِبُوا بِهِمْ وَحَيْوُهُمْ وَعَلَمُوْهُمْ))

وكل واحد منكم، بل ما من إنسان إلا وله أهل، له أقرباء، له مجتمع، له إخوة وأخوات، وأولاد إخوة وأخوات، جيران، زملاء بالعمل، أقارب، هؤلاء إذا آنست من أحدهم طلباً للعلم رحب به، أكرمه، استقبله، عاونه، بهذا اللين يميلون إليك، هذا هو القانون، وبهذا القانون تصبح ذا هيبة. طبعاً قد تعجبون من هذا الدرس – درس شمائل النبي – فيقول قائل: لكن ماذا نستفيد نحن إذا عرفنا أن النبي ذو هيبة؟ نريد أن نكون نحن أيضاً أصحاب هيبة، طبعاً تكون لنا هيبة بقدر إيماننا، بقدر إقبالنا على الله، بقدر إخلاصنا، أنت إذا اتصلت بالله استقررت الرحمة في قلبك، ومتى استقررت لنت لهم، فإذا لنت لهم أحبوك، وهابوك، وقدسوك.

كلمة شيء مقدس هذه الكلمة ترد على الألسنة كثيراً، ما معنى بيت مقدس؟ هذا الإنسان مقدس؟ أي مستقيم، الشيء المقدس الطاهر النقي من الشوائب، فكلما حرصت على ألا تزل قدمك، وألا ينزل لسانك، وألا تزل أعضاؤك، وألا تزل خواطرك كنت مقدساً.

أخي هذا البيت مقدس، أي أن هذا البيت كان فيه مجالس علم، كان فيه ذكر الله عز وجل، لم تُرتكب معصية، لم تكشف عورة، لم يتكلم أحد فيه بكلمة قاسية، نقول: فلان مقدس، أي مستقيم.

* * * *

الآن من شمائل النبي عليه الصلاة والسلام..

تقديمه كبير القوم في الكلام

الملاحظ – والعياذ بالله – في المجتمعات الغربية، الإنسان ما دام في شبابه، وعلى رأس عمله، له مكانته، فإذا تقدمت به السن همّش، أصبح على الهاشم، أي أن أهله ينصرفون عنه، والشيء المعروف في تلك المجتمعات أن الأب المتقدم بالسن لا يحظى بزيارة أولاده إلا في العام مرة على أحسن تقدير، وكثيراً ما يعتذر الأبناء عن زيارة أبيائهم، أجل: في العام مرة واحدة، إذا في المجتمعات المادية الإنسان إذا تقدمت به السن همّش، خرج من بورة الاهتمام إلى زوايا الإهمال؛ نبذ من أسرته، من أبنائه، من أقربائه، لكن في الإسلام عندنا شيء آخر، التقدم في السن وحده يلزمنا أن نوقره، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ))

(من مسند أحمد: عن " عبادة بن الصامت)

: و

((مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسَنِهِ إِلَّا قَيَضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ))

(من سنن الترمذى: عن " أنس بن مالك)

الحقيقة أنَّ الإنسان يكون قدْ شَيِّأ، بل أشياء، وبعدما كبر بالسن من حقه أنْ يجنيَ الخير، أَدَى ما عليه وبقي ما له ؛ له الاحترام، له العناية الفاقحة، له الخدمة، هذا حال المجتمع الإسلامي. لذلك كلما قرأت هذا الحديث أيها الإخوة اقشعرَ جلدي..

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))

(من سنن أبي داود: عن "أبي موسى الأشعري")

أنت إذا رأيت إنساناً عمره بالستين، بالخامسة والستين، بالسبعين، كل حياته في طاعة الله، إذا أكرمت هذا الإنسان لا شيء إلا لأنه مسلم، وتقمنت به السن، فإكرامك له إكرام الله تعالى..

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))

(من سنن أبي داود: عن "أبي موسى الأشعري")

النقدم بالسن شيء ثمين في الإسلام، حتى إنه في بعض الأحاديث القدسية:

((عَبْدِيْ كَبِرْتْ سَنَكْ، وَضَعْفَ بَصَرَكْ، وَانْحَنَىْ ظَهَرَكْ، وَشَابَ شَعْرَكْ، فَاسْتَحِيْ مِنِّيْ فَأَنَاْ أَسْتَحِيْ مِنْكَ))

والنبي عليه الصلاة والسلام - دقّوا النظر - إذا قال: "ليس منا" أي أن هذا الشيء من الكبائر..

((لَيْسَ مِنْ أُمْتَيَ مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَاتِ...))

(من مسند أحمد: عن "عبدة بن الصامت")

الإنسان المتقى بالسن تستهزئ به، تقلده، تشذ نظرك إليه، تستخف به، تجلس جلسة غير أدبية أمامه، لا تقوم له، لا توقر دقق -

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))

(من سنن أبي داود: عن "أبي موسى الأشعري")

فكان عليه الصلاة والسلام يقدم كبير القوم في الكلام والسؤال، وذلك من باب التكريم وحفظ المراتب، وتزيله الناس منازلهم، النبي الكريم قال:

((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))

(من سنن أبي داود: عن "السيدة عائشة")

هذه سفانة بنت حاتم الطائي حينما وقعت أسيرة، رأها النبي عليه الصلاة والسلام فوققت وقالت: "يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك"، سألهما: "من الذي غاب؟" قالت: "عدي بن حاتم"، فقال عليه الصلاة والسلام: "الفار من الله ورسوله؟"، في اليوم التالي مرّ أمّامها فرققت وقالت: "يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد فامنن على من الله عليك"، قال: "من الذي غاب؟"، قالت: "عدي بن حاتم"، قال: "الفار من الله ورسوله؟" ومشى. في اليوم الثالث لم تقف، فأوعز إليها أحدهم أن قفي وسألها مرة ثالثة، قالت: "يا رسول الله إن أبي كان من كرماء قومه، كان يفك العاني، ويعفو عن الجاني، ويطعم الفقير - كلمات لطيفة رقيقة - ويفك الأسير، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، أنا بنت حاتم طي"، فقال عليه

الصلوة والسلام: " يا جارية إن هذه أخلاق المؤمنين، إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق" ، فغاف عنها إكراماً لأبيها، وغفا عن قومها كلهم.

فقالت له: " يا رسول الله أتأنن لي بالدعاء؟ " ، قال: " نعم - فاسمعوا أيها الإخوة وعوا - قالت هذه الفتاة النجيبة: " أصاب الله ببرك موافقه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، وإذا سلب نعمة عن قومٍ جعلك من يعود بها إليهم - بهذا المعنى - فالنبي أنزل هذه الفتاة منزلتها - بنت حاتم طي - ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((أكرموا عزيز قومٍ ذلٍّ، وغنياً افترق، وعالماً ضاع بين الجهال))

أكرموا، فإذا كنت إنساناً لهذا منصب سابقاً، ولك مكانة سابقاً، فلا بد من تكريمه، لذلك في أحكام الزكاة أنا سأسألكم هذا السؤال: هل يجوز أن نعطي الزكاة للإنسان قوي؟ لا يجوز، لا تعطى الزكاة لا لعني، ولا لذي مرة قوي، إلا في حالة واحدة، إذا كان غنياً وافتقر، هذا الإنسان لا نكلفه أن يكسب قوته بعضاالته، أشغله مثلاً، حفاظاً على مكانته السابقة نعطيه ما يقيم به صلبه من مال الزكاة، هذا هو الحكم الشرعي.

روى البخاري عن سهل بن أبي حمزة قال:

((انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود بن زيد إلى خير، وهي يومئذ صلح فتفرق فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشرّط في دمه قتيلاً فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحبيبة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلّم فقال كبر كبير وهو أحذث القوم فسكت فتكلّما ف قال تحلفون وتستحقون فاتّلكم أو صاحبكم قالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرّيكم بهود بخمسين فقالوا كيف نأخذ أيمان قوم كفار فعقلة النبي صلى الله عليه وسلم من عنده))

أي ليتكلّم أكبركم.

وفي رواية لمسلم:

((البيداء الأكبر))

وفي رواية الإمام أحمد:

((الكبير، الكبير))

وفي رواية البخاري أيضاً:

((كبير، كبير))

يريد السن.

وفي مسند أحمد وغيره عن ابن عباس برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر))

لذلك مما يؤلمني أشد الألم أنْ أرى أطفالاً في الطريق يستهزئون بإنسان متقدم في السن، يضحكون من مشيته مثلاً، يحاكونه في حركاته، أقول: هؤلاء الصغار أليس لهم آباءٌ يهذبونهم، يربونهم التربية اللائقة بهذه السنة النبوية المطهرة؟.

إذا ذُو الشيبة المسلم إكرامه من إكرام الله عزّ وجلّ، فإذا أكرمت ذا الشيبة المسلم فكأنما أكرمت الله عزّ وجلّ، فما الذي يمنع أحدهنا إذا وجد شيئاً سُنّة متقدمة، ويحمل أغراضًا، وأحدنا شاب في ريعان الشباب أنْ تعينه بحملها، ولو كنتَ لا تعرفه، هل من شيء يمنع ذلك؟ وما يمنع إذا كنت راكباً سيارتك، وإنسان كبير في السن يحمل أغراضًا أنْ تقول له: تقضي لأوصالك؟.

أذكر مرة في أحد أيام البرد القارس – كانت درجة الحرارة خمساً أو ستة تحت الصفر – وجدت شاباً وزوجته إلى جانبه يحملان طفلاً صغيراً، لكنهما خائفين عليه من البرد خوفاً واضحاً في معلم وجه الأب، لفوه، ويقاد يختنق هذا الصغير من شدة البرد، فأنا قلت: والله سأوصله بسيارتي إلى مكانه، كان بيته بالجادات العليا، سبحان الله، أنا ما خطر في بالي أن هذا الإنسان من خلال هذا العمل سيلترم الدروس كلها، طبعاً سألهي أجبته، وحدثته عن بعض الدروس، وفي الدرس التالي التحق بنا، وصار من الملازمين لحضور الدروس كلها.

إذا كان الشخص يقود مركبة، وهو شاب في مقبل العمر، ورأى شخصاً كبيراً في السن فأكرمه، وحمل له أغراضه، فهذا من السنة، هذا من شرع الله عزّ وجلّ، لكن الناس في زماننا تكبروا، فتجد طفلاً جالساً في مركبة عامة، وإنسان في التسعين يكاد يقع من اضطراب المركبة، والطفل جالس، وأبوه إلى جانبه، وكأنه لا يبصر شيئاً.

* * * *

تكريمه صلى الله عليه وسلم أهل الفضل

عن ابن عباس رضي الله عنهمما أن النبي صلى الله عليه أنه قال:
((البركة مع أكابركم))

وفي رواية:

((الخير مع أكابركم))

والمعنى: كلمة أكابر اعتقدي هذا العصر لها مفهوم آخر ما أراده النبي، الأكابر الآن الأغنياء، أما الأكابر الذين ورد ذكرهم في الحديث الشريف هم أهل الفضل، أهل العلم وأهل الدين، الوجاه، الأتقياء، الورعون، الذين يخدمون الناس، هذا معنى أكابر..

((سيد القوم خادمهم))

(من الجامع الصغير: عن "ابن عباس")

والحديث الشريف:

((ليس منْ أَمْتَى مَنْ لَمْ يُجِلْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ))

(من مسند أحمد: عن "عبدة بن الصامت")

قضية توقير العلماء هذه قضية لها معنى دقيق، العلم يقدم بلا مقابل، فهذا الإنسان الذي يعلمك لا يريد شيئاً، لا مكافأة مادية ولا معنوية، إلا أن المودة تتلاطم صدره، والمودة تنسيه تعبه، هناك آباء أصلحهم الله أحياناً يذكر أمامه اسم معلم ابنه فيسبّه، لا تسبّه، هذا يعلم ابنك، والمفروض أن يكون عندك محترماً، ولو خطأ، وقسّا على ابنك، فالمفروض أن يكون المعلم في مكان عالٍ موقر.

إِنَّ الْمُعْلِمَ وَالْطَّبِيبَ كَلاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمْ لَمْ يُكْرَما

* * *

لكنْ قد تجد آباء عقلاً في منتهى الأدب، فأحدهم يكرم معلم ابنه، ويحترمه، أحياناً يخدمه، لأنَّ ابنه عنده، وبعض الآباء لجهل بأصول التربية إذا أخطأ المعلم خطيئة يكيلون له الصاع صاعين، عندئذٍ ينتقم هذا المعلم من ابنهم طوال العام، إذاً ليس من الحكمة أن تُجرِّح المعلم، ولا أن تصغرَّه، ولا أن تؤذنه لا بلسانك ولا بفعلك.

من ذلك التكريم إكرامُ النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس".

الشيء الدقيق أن الله عزّ وجلّ لحكمةٍ أرادها أنْ كان له عم له - طبعاً عمّه هذا عاصر النبي - فكان عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني بسنٍدٍ حسنٍ عن ابن عباس، عن أمِّه أمِّ الفضل أن العباس أتى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأه - انظر - فلما رأى عمِّه العباس قام إليه وقبل ما بين عينيه، ثم أقعده عن يمينه، ثم قال:

((هذا عمی فمن شاء فلپیاہ بعماه))

فقال العباس :

((نعم القول يا رسول الله))

نبيٌّ يقف، ويستقبل عمه، ويقبله، ويجلسه عن يمينه ويقول:

((هذا عمى فمن شاء فليپا به بعنه))

وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استسقى عمر عام الرماد - أي عام القحط -
بالعياس، فقال:

((اللهم هذا عم نبيك نتوجه إليك به فاسقنا))

فما برحوا حتى سُقوا، فخطب عمر فقال: (يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده...).

بالمناسبة العم والد، والخالة والدة، فالذى له خالة أو له عم ينبغي أن يصلهما، وأن يوقرهما، وأن يبرهما كما لو كان هذا الإنسان أباً، أو كما لو كانت هذه الخالة أمه. فيقول سيدنا عمر: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه، ويفخرمه، ويبيرُ قسمه، فاقتدوا برسول الله في عمه العباس، واتخذوه وسيلةً إلى الله فيما نزل بكم)، وبعض هذا الحديث في صحيح البخاري.

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يعظمون العباس ويكرّمونه اتباعاً للنبي، فقد روى الحافظ بن عبد البر عن ابن شهاب أنه قال: (كان الصحابة يعرفون للعباس فضله فيقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه).

روي أيضاً عن أبي الزناد أنه قال - دققاً - : (لم يمر العباس بعمر وعثمان - رضي الله عنهما - وهما راكبان إلا نزلا عن دابتهم، حتى يجوز العباس إجلالاً له ويقولان: عم رسول الله).

الدين كله أدب.

قال: من لطائف أدب العباس - عم النبي صلى الله عليه وسلم - مع النبي، ما رواه ابن أبي عاصم عن أبي رزين والبغوي في معجمه، عن ابن عمر أنه قيل للعباس: (أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: " هو أكبر مني وأنا ولدت قبله)، انظر كتاب الإصابة في هذه الرواية.

وفي كتاب الإصابة أيضاً نقاً عن الشعبي أنه قال: (ذهب زيد بن ثابت رضي الله عنه ليركب، فأمسك ابن عباس رضي الله عنهما بالركاب - أي ركب الدابة - فقال: تناح يا ابن عم رسول الله، قال: لا، أمرنا أن نفعل هكذا بالعلماء والكبار).

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح في نفر من أصحابه، إذ أتى بقدح فيه شراب، فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة، فقال أبو عبيدة:

((أنت أولى مني يا نبي الله. قال: خذ. فأخذ أبو عبيدة القدح وقال قبل أن يشرب: خذ يا نبي الله، قال صلى الله عليه وسلم: " اشرب - قدّمه على نفسه اللهم صلّ علیه - فإن البركة مع أكابرنا، فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبارنا فليس منا))

طبعاً أكرم النبي الكريم أبا عبيدة لأنه أمره أن يشرب قبله، وهذا ورد في الحديث الذي ذكرته قبل قليل..

وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))

(من سنن أبي داود: عن "أبي موسى الأشعري")

لا مغalaة ولا مجافاة، الذي يحمل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، من هجر القرآن، فهذا الجافي عنه، بالغ ؛ تجاوز الحد المعقول في تفسيره، وأوله تأويلاً ما أنزل الله به من سلطان، فهذا مبتدع، أما إذا لم يكن لديه غلو ولا مجافاة، فإكرام حامل القرآن من إكرام الله تعالى.

ذات مرّة لقيت رجلاً أصغر مني بكثير، لكن أعرف أنه يحفظ كتاب الله، فأوصلته وما ودّعه إلا واقفاً، نزلت وودعه واقفاً لأنه يحمل كلام الله، فإذا كان الإنسان حافظاً يجب أن تتحترمه، وإذا

كان ابنك حافظ القرآن الكريم فإياك أن تضرره، وإذا كان عندك طالب في الصف يقرأ القرآن الكريم فإياك أن تهينه، من إكرام الله تعالى أن تكرمه. من هو الثالث؟

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))

(من سنن أبي داود: عن "أبي موسى الأشعري")

أي إذا كان في (قائم مقام) أخلاقه عالية، وشريف، ويده نظيفة فاحترمه وهذا هو الصواب، إذا كان الإنسان ذو المنصب مستقيماً، معروفاً بالعدل، نظيفاً، يخدم الناس، فإكرامه من إجلال الله عزّ وجل، إكرام السلطان المقطسط من إجلال الله عزّ وجل.

ذو الشيبة المسلم ليست شيبة نشأت بالمعصية، الحديث دقيق..

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...))

(من سنن أبي داود: عن "أبي موسى الأشعري")

لذلك أحياناً تجد شخصاً بالسبعين لا يصلى، بالسبعين مراهق، بالسبعين وللساعة الثانية ليلاً يلعب بالطاولة، بالسبعين يسافر سفراً، والله أعلم ماذا يقصد من هذا السفر، فهذا الشخص ليس مقصوداً بهذا الحديث،

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))

وكان عليه الصلاة والسلام يُحسّن الأمر الحسن، ويمدح على ذلك تكريماً لمن أحسن فيه، وتنشيطاً لهمّته، ويقبح الأمر القبيح ويرده.

هناك أشخاص لهم طباع عجيبة، فمن حولهم مهما تفوقوا، مهما أبدعوا، مهما تقربوا، فلا يحسّن حسنهم، ولا يُثني على أفعالهم، هذا مما يسبب تثبيط همتهم، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يحسّن الحسن، فمثلاً حولك إنسان قدّم اقتراحًا لم يخطر في بال أحد، فتجد شخصاً يسمع فقط، فيطبقه، ويستفيد منه، من دون أن يتكلّم كلمة واحدة، بينما تجد شخصاً آخر يقول له: الله يجزيك الخير، والله هذه النقطة كانت غائبة عنّي، فأحسّن الله إليك، لقد أكرمتني بهذا الاقتراح، فهذا التشجيع شيءٌ جميل، إذاً فمن قدّم لك اقتراحًا، نصحك نصيحة، لفتَ نظرك إلى شيءٍ، تفوق أمامك، خدمك، فاشكره، وكرر الشكر، أحياناً يكون الموظف في محل تجاري بقي مع صاحب المحل ساعتين بعد الدوام، فكانه ما عمل شيئاً، لكن لو قال له: لقد أخرناك، وجزاك الله خيراً، خجلنا منك، فقد حصلت مودة، وقد ترى شخصاً مهما أبدع الناس، فالذين حوله في أعمالهم، مهما تفوقوا، مهما أتقنوا، مهما أخلصوا، مهما ضحوا لا يتكلّم بكلمة ثناء عليهم، وهذا مما ينبطهم في أعمالهم، بالإضافة إلى بخسهم حقّهم.

إخواننا الكرام ؛ هذه نقطة مهمة في تربية الأولاد، فلو كان لابنك موقف أمانة فاشكره على أمانته، عندك موظف دوامه جيد، من حين لآخر قل له: أنا مسورو من دوامك، فيشعر الذين حولك أنك تقدر الجميل، فالنبي كان يحسّن الحسن، ويمدح صاحبه، لا تضن بكلمة ثناء، لا تضن بكلمة مدح، لا تضن بكلمة تقدير لزوجتك، لأولادك، لموظف عندك بال محل، صانع صغير بعثته لحاجة فقضها بسرعة، فقل له: ما شاء الله لم تتأخر، أحسنت، والله شيء جميل، بكلمة تجده انطلق وضاعف جهوده، بينما هناك شخص مهما أحسنت، ومهما تفوقت، وبذلت، وضحيت تجده لا ينبس بكلمة، ولا بشكر، ولا ثناء لأنك لم تفعل شيئاً.

صحابي دخل ليلحق ركعة مع رسول الله فأحدث جلة وضجيجاً، وشوش على الصحابة صلاتهم، فلما انتهى النبي من صلاته، توجه إليه وقال له:

(زادك الله حرصاً ولا تعد)

(من صحيح البخاري: عن "أبي بكرة")

وفيما يتعلق بإدارة البيت، فإنْ كان الأكل طيباً، والبيت نظيفاً، الأولاد لابسين مهندمين، فقل لزوجتك: الله يعطيك العافية، والله شيء جميل، ابنك أخذ علامات جيدة فأثن عليه، امدحه فلا مانع، شجّع الناس، هذه من خصائص النبوة، أو من شمائل النبي اللهم صل عليه..

((كان يحسن الأمر الحسن، ويمدح صاحبه تكريماً لمن أحسن))

روى الإمام أحمد عن يحيى بن الجزار قال:

((دخلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمِّ سَلَّمَةَ فَقَالُوا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدَثَنَا عَنْ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ سَرَّهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَوَاءً ثُمَّ نَدَمْتُ فَقُلْتُ أَفْشِيْتُ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَلَمَّا دَخَلَ أَخْبَرَتْهُ فَقَالَ أَحْسَنْتِ))

روى ابن حبان في صحيحه عن طلاق بن علي الحنفي قال:

((بنيت المسجد مع رسول الله، فأخذت المسحات بمخلطة الطين فكانه أujeبه فقال: دع الحنفي والطين فإنه أضبطكم للطين))

رجل قدم لك حاجة قد صنعها بنفسه، فقل له: شيء جميل، والله متقدة، الله يعطيك العافية، القصد أنك عندما تنتي على المحسن، وتقدر المتقن، وتعرف قدر التضحية التي قدمت لك، هذا مما يشجع على فعل الخير.

ولدينا قصة معروفة لا بأس من ذكرها، رجل من لصوص الخيل في الصحراء، وإنسان يركب فرسه فرأى الفارس فقيراً، ينتعل رمال الصحراء المحرق، فرق له ودعاه لركوب فرسه خلفه، ما إن تمكن اللص من ركوب مطية الفارس وراء صاحبها حتى دفعه سوأه بالأرض، وعدا بالفرس لا يلوى على شيء، قال له صاحب الفرس: " يا هذا لقد وهبت لك الفرس ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إليك أن يشيع هذا الخبر في الصحراء فتذهب منها المروءة، وبذهاب المروءة يذهب أجمل ما فيها".

فإذا خدمك شخصٌ فاشِنٌ عليه، وإنْ تَفَوَّقَ فكائِنٌ، أو قَدَّمَ لك خدمة فاشكره، وإنْ أحسن ابنك فامدحه، حتى نشجع العمل الطيب، هذا من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم.

آخر حديث ؛ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتلقنه))

ذات مرّة أحد الصحابة حفر قبراً لصحابي قد توفي، ولما سوى القبر لم يسوه كما ينبغي، فقال النبي الكريم:

((إن هذا لا يؤذي الميت ولكنه يؤذي الحي))

فلا بدّ من إتقان العمل، فكان عليه الصلاة والسلام يحسن الحسن ويصوبه، ويمدح صاحبه تشجيعاً له، وكان يقبح القبيح ويتوهّنه، وإذا عمل شخصٌ عملاً سيئاً فلا تقل له: أحسنت، بمعنى أنه إنسان جيد، فهذا كلام خطير، يجب أن نقبح القبيح وأن توهّنه وأن تتصحّ صاحبه.

والحمد لله رب العالمين